
أنطوان ناجي القزّي
أزاهير وألوان
يارا وجزيرةُ الفرَحِ
دار المكتبة الأهليّة

أزاهير وألوان

# يارا وجزيرة الفرح

أنطوان ناجي القزي

دار المكتبة الأهلية
زوق مكايل : ٩٣٤٧٢٤
الدكوانة : ٤٨٠٠٢٣

# المقدمة

أنا وأنتَ يا صديقي، نجولُ بينَ الأزهارِ، على السفوحِ، قربَ الجداولِ والأنهارِ.

أنا وأنتَ، نسمعُ زقزقةَ عصفورٍ مغرِّدٍ، ولحنَ قيثارةٍ سكرى، نحادثُ الرعاةَ والصيّادين، نفرحُ مع الطيورِ في الربيعِ، نسابقُ الفراشةَ إلى الورودِ، ونرسمُ بالألوانِ لوحاتٍ في خيالنا.

أنا وأنت، نغوصُ في البحارِ، نسامرُ الأسماكَ والحيتانَ، نرفُّ مع النورسِ نحو الآفاقِ، نلهو مع الأمواجِ والريح.

أنا وأنت، نقفزُ مع الأرنبِ، نوشوشُ الأوراقَ، نهمُس مع النسيمِ، نلطِّفُ الصيفَ بقليلٍ من ماءِ الجدولِ، ونلحقُ السرورَ حتى إلى الجزُر.

أنا وأنتَ، نسرقُ الأحسنَ من الطبيعةِ، ليبقى كنزاً لنا، نلجأُ إليهِ إذا فاجأنا الخريفُ، أو أتانا الشتاءُ بشيءٍ من مزاياه.

أنا وأنت، طريقُنا الحياةُ، شموعُنا نجومٌ ترقصُ في الأنهار، رفاقُنا تلٌّ ورابيةٌ، وزادُنا أزاهيرُ وألوان.

انطوان ن. القزّي

# يَارا وجَزيرَةُ الفَرحِ

كانَ الضبابُ يدركُها مرةً إلى جانبِ النهرِ، تلهو مع فراشةٍ أو تصغي إلى شدوِ عصفورٍ جميلٍ. لم تكنْ وحدَها، فرفيقُها باسمٌ لا يدعُها تخطو إلّا ويخطو مثلَها، يسيرُ ويقفزُ ويلعبُ، ولكنَّ الفرقَ بينهما، هذه العلاقةُ مع الطبيعةِ والكائناتِ.

كانت يارا تهوى التنزُّهَ في الطبيعةِ، تتنعَّمُ بجمالها وكأنّها في العشرينَ؛ فتاةٌ بمثلِ عمرِها عاشتِ الربيعَ سبعَ مرّاتٍ، تتذوّقُ الجمالَ وكأنَّها خبرَتْهُ منذ سنينَ كثيرةٍ.

كلُّ ما يزعجُ يارا عندما تكونُ في الطبيعةِ، رفيقُها باسمٌ، فهو دائماً يتصرَّفُ عكسَ ما تريدُ، يلحقُ الفراشةَ، ليلتقِطَها ويُعَذّبَها، ويعرضَها على الرفاقِ، متباهياً بألوانِها الجميلةِ. أو يتسلّقُ شجرةً ليأسرَ أمَّ

الفراخِ ، فيحتَفِظَ بها في قفصِهِ، أو ينزلُ ضفّةَ النهرِ ليصطادَ سمكتين ويسجنهما في إناءٍ زجاجي. رغبتُهُ دائماً في أن يمتلكَ الأشياءَ، ويعتقدُ أنّ كلَّ ما يستطيعُ فعلَه هو مكسبٌ



له، طباعُهُ غريبةٌ مع الحيوانِ والأزهارِ، مع أنّ والديهِ يؤمّنانِ له ما يشاءُ، فهما ميسورانِ ويمتلكانِ بيتاً جميلاً.

أمّا يارا فهي من أسرةٍ متواضعةٍ، تعيشُ حياتَها ببساطةٍ ووداعةٍ ومحبةٍ للآخرينَ كبيرةٍ.

كان الطفلانِ يخرجانِ أثناءَ العطلةِ معاً، منذُ الصغَرِ، نحوَ الحقلِ والغابةِ والنهرِ الصغيرِ وكانا في اكثرِ الأحيانِ ينشدان:

هيّا يا أشجارَ الوادي
هيّا نلقَ الطيرَ الشادي
جئنا نبني قصرَ الشمسِ
بالألحانِ والإنشادِ

هيَّا يا أطيارَ الصبحِ
مع فلّاحِ الأرضِ الغادي
قومي نرحَلْ نحو السفحِ
خوفا من كلبِ الصيادِ.

قريةُ الصغيرينِ مسيّجةٌ باللونِ الأخضرِ من كلِّ الجهاتِ، وهما يترافقانِ من المدرسةِ وإليها كلَّ يومٍ ، وحينَ يتغيَّبُ أحدُهُما، يشعرُ رفيقُهُ بالغربةِ، لقد كانت حياتُهما جميلةً، لولا الخلافُ في الطباعِ وفي التعاملِ مع الآخرينَ.

أرادتْ يارا أن تُقنعَ رفيقَها باسماً بأنْ لا يتعرَّضَ للفراشاتِ والعصافيرِ وأزهارِ الغابةِ والأسماكِ، لكنّهُ لم يقتنعْ، وأصرَّ على القيامِ بأفعالِه، فقالتْ له يارا:

ـ «إنْ كنتَ لا تريدُ أن تقلعَ عن أعمالِكَ فنحنُ لسنا صديقين».

ولكنّ باسماً كان يعلمُ أنّ يارا لن تنفِّذَ تهديدَها، فلم يأبهْ لها وتابعَ سيرَه غيرَ مهتمٍّ بكلامِها. على أنّ ما حضّرتْه يارا في نفسِها، لم يتوقّعْهُ باسم.

فعندما ابتعدَ قليلاً، أثناءَ لحاقِهِ بإحدى الفراشاتِ، اغْتنمتْ يارا الفرصةَ، وبسرعةٍ أفرغتِ الماءَ والسمكتين من الإناءِ، ورمتهُما في النهرِ فأسرعتا في الابتعادِ نزولاً نحو الشاطِئ، حتى لا يعودَ باسمٌ ويجدَهما من جديد، ثم فتحتْ يارا بابَ القفصِ، وأطلقتِ العصفورةَ أمَّ الفراخِ، فطارتْ هذهِ المسكينةُ مسرعةً نحو عشِّها، لتجدَ فراخَها تكادُ تموتُ من الجوع.



عادَ باسمُ الى المكانِ، فتشاجرَ مع يارا، ورجعَ كلٌّ واحدٍ إلى البيتِ منفرداً. وما لم يحسبْ له الصغيرانِ حساباً هو أنّ الأسماكَ قلّتْ في تلكَ الناحيةِ من النهرِ، بعدما أوعزتِ السمكتانِ إلى رفيقاتِهما بالابتعادِ من هناك.

وعندما كبرتْ فراخُ العصافيرِ، حملتْها أمُّها وعلّمتْها كيفَ تبتعدُ مفتشةً عَن غابةٍ جديدةٍ. وهكذا باتتِ العصافيرُ قليلةً في هذهِ المنطقةِ.

أمَّا باسمٌ، فلمْ يستمرَّ في خصالهِ السيئةِ كثيراً، فقدْ قاصصتْهُ المعلّمةُ يوماً، عندما علمتْ أنّه يقتلُ الفراخَ والفراشاتِ، ومنذُ ذلكَ الحينِ، وباسمٌ لا يتعرَّضُ للحيواناتِ الجميلةِ الصغيرةِ، وصار كلّما رأى عصفوراً حاولَ تقليدَهُ، وكلّما رأى فراشةً حاولَ اللعبَ معها، ثمّ يذهبُ إلى الساقيةِ يتمتَّعُ بمنظرِ الأسماكِ الباقيةِ فيها، وهكذا

تحـوّلتْ طبـاعُـهُ إلى رفقٍ ومحبّـةٍ وإعجـابٍ بالحيوانِ.

مـرّتِ السنـواتُ، وكبـرَ الصغيـران، وحدثَ ما لم يخطرْ ببالِ أحدٍ، ولم يتصوَّرْهُ الناسُ في تلك الأنحاء، إذْ هبّتِ العواصفُ بشدّةٍ، وغزرتِ الأمـطارُ، واقتلعتِ السيولُ الأشجارَ والأزهارَ، وفاضَ الجدولُ الصغيرُ، حتى بات نهراً يدفقُ عـلى الجانبـين، ويهدِّدُ المنازلَ. وغطّتِ الثلوجُ ما تبقّى من البيوتِ،

وذُهِلَتِ الأمهـاتُ وحمـلْنَ مـا تيسَّـرَ من أغـراض، وخـرجْنَ من المنـازلِ ومعهُنَّ اولادهُنَّ في حالةٍ محزنةٍ وقاسيةٍ.

ولم يكنِ الولدانِ الرفيقان يارا وباسمٌ بعيـدَين عمّا يجري، فهما من سكّـانِ تلكَ القريةِ، وكانَ عليهما الرحيلُ، لأنّ المـواسمَ والمزروعاتِ قد أُتلفتْ، وكذلـكَ أجزاءٌ من المنازلِ.

وكـانتِ الإقامـةُ على السـاحـلِ أمـراً طبيعياً، خوفاً من غضبِ الأعاصيرِ في الجبال، إذ أقامَ أهلُ القـريةِ في أمكنـةٍ على امتـدادِ الشاطىءِ، حيثُ الطبيعـةُ لا تقسو كـما في الأعالي.

وهكذا كما كان الرفيقانِ يسيران معاً في الماضي، يسيرانِ اليـومَ ولكن على شـاطىءِ البحرِ.

مضتْ شهورٌ وأقبلَ الصيفُ مع حرِّهِ الشديدِ، وكان لا بدَّ من السباحةِ في هـذا الفصـلِ ، فيارا كبـرتْ، وباتتْ في ربيعِهـا الثـاني عشرَ، وكـذلكَ بـاسمٌ، وحسِبا أنّهما يجيدانِ السباحةَ، وسرعانَ ما نزلا إلى الماء.

وإذا موجةٌ تـأتي بعدَ مـوجةٍ، إلى أنْ أحسَّ الفتَيانِ أنَّ التيّارَ يقوى عليهما، ويعكسُ اتجاهَهُما، عنـدها راحـا يصرخـانِ ويطلبـانِ النجدةَ، ولكن لا أحدَ يسمعُهما.

فالتيّارُ يحملُهما في وسطِ البحرِ، واستمرَّ الأمرُ على حالِه، وكادَ الطفلانِ يموتـانِ تعباً وإعياءً، وكادتِ المياهُ تبتلعُهما، ولكنَّ اللهَ لم يحرمْهُما العونَ، فقد صادفَ أنْ مرَّ قربَ ذلك المكـانِ، جماعـةٌ من الاسماكِ الـراحلةِ نحو الجنوبِ، فسمعتْ صراخَ الفتيين.

حـاولتِ الأسمـاكُ أنْ تتقـدَّمَ، لكنّ

سمكتيـنِ كبيرتـين تقدّمتـا أولاً كي تخلّصـا الرفيقين.

- «يا للمفاجأة» قالتِ السمكةُ الاولى للثانيةِ.

- ما الأمرُ يا أختي؟

- أنـظري، ألا تـرينَ؟ إنّها يـارا! أسرعي، أسرعي لنجدتِها.

- حقّاً، إنها هي!

وتقدّمتِ السمكتانِ، وحملتا باسماً ويارا على ظهريهما وقالتا:

- هلْ عرفتِنا يا يارا؟



- وكيفَ أعـرفُكما، وأنـا أنزلُ البحـرَ للمرّةِ الاولى؟

- ألا تـذكـرينَ ذلـكَ الإنـاءَ وتيـنِـكَ السمكتينِ، منذُ خمسِ سنواتٍ؟

- نعمْ نعمْ تذكّرتُ!

- ها نحنُ نساعدُكِ اليومَ مع رفيقكِ، أرأيتِ القدَرَ؟

وتنهّدتْ يارا عندما علمتْ بـأمرِ السمكتينِ، وأخبرتْهما ما حلّ بقريتِها، وكيفَ وصلتْ إلى هنا، ثم سألتْهُما أينَ كانتا طيلةَ هـذهِ الفترةِ، فـأخبرتـاها أنّهما تنتقـلانِ بينَ الشاطىءِ وجزيرةِ الفرحِ، حيثُ الحـورياتُ وطيورُ البحرِ والطبيعةُ الفاتنةُ.

طلبتِ السمكتـانِ من يارا الـذهـابَ معهما إلى تلكَ الجزيرةِ وأصرّتا على ذلكَ، ثمّ

سارتا نحوَ الشاطِىءِ، ووضعَتا
باسماً هناكَ وذهبتا بالفتاةِ
إلى الجزيرةِ. لأنّ يارا
لم تستطعْ إقناعَ السمكتين
بأنّ باسماً ندمَ
على أفعالهِ
السابقة.
وبقي الفتى
وحيداً عند
ذاك الشاطىءِ
وراحَ يتأمّلُ البحرَ بحزنٍ كبيرٍ.

***

جزيرةُ الفرحِ كانتْ جميلةً جداً، ويارا دُهشَتْ بما رأتْ هناكَ، حيثُ اسكنتْها الأسماكُ قصراً فخماً بينَ أشجارٍ باسقةٍ، تحيطُ بهِ كلُّ أنواعِ الأزهارِ على ألوانِها.

فِي هذا القصرِ، كانتْ يارا تجدُ كلَّ ما تتمنّى، فحورياتُ البحرِ تأتمـرُ بأمـرِها، وأمُّ الفـراخِ التي خلَّصَتْهـا في المـاضي مـعَ السمكتيـن، كانتْ تـأتي مع فـراخِهـا كـلَّ صباحٍ، فتوقظُ يارا على زقزقتِها. والنورسُ كانَ يحملُ إليها كلَّ ما تشتهيهِ من الأمكنةِ البعيدةِ.



لكنّ هذهِ السعادةَ كانتْ ناقصةً، ولم تكنْ تعني الكثيرَ بالنسبةِ إلى الفتاةِ، فهي تقضي معظمَ الأوقاتِ في التأمُّلِ والإكتئابِ.

وسألتْها الأسماكُ يوماً عن سببِ حزنِها، فطلبتْ من السمكتين، أن تسمحا لباسمٍ بالقدوم إلى الجزيرةِ، فهي غيرُ معتادةٍ على قضاءِ الأوقاتِ وحدَها.

رفضتِ السمكتانِ في باديءِ الأمرِ هذهِ الفكرَةَ، بسببِ ما فعلهُ باسمٌ في الماضي، ولكن يارا أخبرتْهما أنّه ارتدَّ عن عاداتِهِ السّيئةِ، وصارَ يحبُّ الطيورَ والأسماكَ. عندَ ذلك ورغبةً في توفيرِ الفرحِ ليارا، ذهبتِ السمكتان إلى الشاطئِ حيث كان باسمٌ يقفُ كلَّ يوم، وينتظرُ عودة يارا، فحملتاهُ وجاءَتا بهِ إلى الجزيرةِ.

صحيحٌ أنّ الجزيـرةَ جنّةٌ لا ينقصُهـا شيءٌ، لكنّ الولدين كانا يفكّـران دوماً في قريتهما، وما حلَّ بها. فقد طلبتْ يارا في أحدِ الأيامِ من النورسِ، أنْ يذهبَ ويخبرَها عن أحوالِ قريتها، فأخبرَها النورسُ أنّ الثلوجَ انحسرَتْ، وتحسّنتْ حالُ الطقسِ.

كـانت يارا تفعـلُ ذلـكَ، دونَ علمِ الأسماكِ لأنّ الاسماكَ لا تريدُ من يارا أن ترحلَ عن الجزيرةِ. لكنّ الولدين أصرّا على الرحيلِ، ولمّا لم تستجبْ لهما الأسماكُ، إتفقا مع النورسِ على أنْ يرحلا ليلاً، ويعودا من جديدٍ إلى ما كانا عليهِ، وإلى حياتِهما السابقةِ، فهما يفضّلانها على كلِّ ما في هذهِ الجزيرةِ، والحنينُ إليها يزدادُ يوماً بعدَ يومٍ.

عند المساءِ، جهَّـز الرفيقـانِ نفسيهما، وجـاءَ النورسُ بسـرب من رفـاقِـهِ، وحملوا



الرفيقين، ورحلوا جميعاً إلى القريـةِ، حيث استقبلهم كـلُّ الذين عـادوا اليها. رفضتْ جماعةُ النورسِ العودةَ إلى الجزيرة، وطلبتِ البقاءَ في القريةِ، للمساعدةِ في أعمالِ البناءِ والترميمِ، حيثُ راحَ عشرون نورساً ينقلون الأخشابَ والأحجارَ الصغيرةَ، وساعدوا يارا وباسماً على إصلاحِ ما خرّبتْهُ الطبيعةُ.

أمّا الحورياتُ في الجزيرةِ، فقد حزنتْ على رحيلِ الرفيقين، وكذلكَ الأسماك. وفي أحدِ الأيّامِ، وبعدَ الانتهاءِ من العملِ في القريةِ، كانَتِ المفاجأةُ السارّةُ، حيثُ وجدَ الناسُ هناكَ حورياتِ البحرِ تخرجُ من النهرِ، وتجلسُ على ضفّتيهِ، جاءتْ لتعيشَ قربَ يارا.



هنا، حيثُ بدأَ باسمُ يحفرُ بحيرةً مستديـرةً للحورياتِ، هذهِ البحيرةَ التي عـاشتْ فيها الأسماكُ في الماضي خائفةً، ستعيشُ فيها الآنَ فرحةً مرتاحةَ البالِ.

وبعدَ أيامٍ جاءتِ السمكتانِ ومعهـما صغارُهما، كذلكَ عادتْ أمُّ الفراخِ وفراخَها وكوّنوا هناكَ قريـةً جديـدةً تضاهي جـزيرةَ الفرحِ بالسعادة، وتفوقُها، فقريةُ الصغارِ هي جزيرةُ فَرَحِهِمْ.

اسئلة :

١ ـ ما الفرقُ بين باسم ويارا؟
٢ ـ ما الذي حصلَ عند حدوثِ الاعاصير؟
٣ ـ لماذا اعادتِ السمكتانِ باسماً إلى الشاطىء؟
٤ ـ هل فرحت يارا في الجزيرةِ؟ لماذا؟
٥ ـ هل استجابَ النورسُ لطلبِ الصغيرين؟
٦ ـ كيفَ عاد الولدانِ إلى القرية؟
٧ ـ ماذا فعلتِ الاسماكُ في النهاية؟
٨ ـ ما الذي دفعَ الولدين للعودةِ إلى قريتهما؟

- هل تعيشُ الاسماكُ في الأنهار؟
- هل يسقطُ الثلجُ في قريتكم؟
وهل بنيتَ مرةً تمثالاً من الثلج؟
- ارسم بيتاً مع مدخنةٍ بين الثلوج.
- هل لك رفاقٌ دائمون؟ هل تحبّهم، ما الصفات التي تعجبكَ فيهم؟

